بين المخطوط والمطبوع
من رحلة ابن بطُّوطة

د . عبد الهادي التازي

في إطار اهتمامي بالرحّالة المغربيّ الشهير أبي عبد الله محمد بن بطوطة قمتُ بِمحاولةٍ لِجرد المخطوطات الموجودة للرحلة سواء في الديار المغربية أو غيرها، وسأقوم بتقديم عرضٍ لما وقفت عليه من مخطوطاتٍ بلغ عددها عندي ثلاثين، لأتخلّص إلى ماظهر من مطبوعاتٍ إلى الآن عن الرّحلة:

١- مخطوط خزانة جامع القرويين بفاس رقم ٥٦١ :

أذكر أنّ أوّلَ جهةٍ ورد على بالي أن أقصدها ليس فقط لأنّها قريبة إليّ، ولكن كذلك لأنّها محطة الحدث، تلك هي مدينة فاس التي ألقى فيها ابن بطُّوطة عصا التّسيار، على حد تعبير ابن جُزي في مقدمته للرحلة، وقد أخذني العجب - وأنا أعد أطروحتي عن جامعة القرويين وخزانتها العِلمية[1]- أن أقف على عدد من المخطوطات التي كانت مرجعاً للباحثين هناك، والتي كان من بينها بعض أسفار من تاريخ ابن خلدون التي حبسها على الخزانة المذكورة وعليها خطه عام ٧٩٩هـ = ١٣٩٧م ، ولكني لم أعثر من نسخ رحلة ابن بطُّوطة التي ألّفت بأمر السُّلطان أبي عنان إلا على السفر

(١) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، المسجد والجامعة لمدينة فاس، ج ٢ ، ص ٤٥٢، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢.

الثاني من الرحلة: رقم ٥٦١، وهو متلاشٍ مبتور الأواخر... عارٍ عن وثيقة التحبيس التي يمكن أن تكون على صدر السفر الأوّل...

وأول الموجود منه: ولما كان بتاريخ الغرة من شهر الله المحرم مفتتح عام أربعة وثلاثين وسبعمائة وصلنا إلى وادي السند المعروف بنج آب... وآخره في هذه النسخة الناقصة «ذكر سلطان تكدا» . أوراقه ١١٠، مسطرته ٢٥، مقياسه ٢٧ على ١٨.

فأين هي تتمة هذه النسخة؟ بل أين هي النسخ الأخرى التي كان من المفروض أن تتوفر عليها خزانة فاس؟ ذلك ما سنقرأ الجواب عنه في الكلمة التي كتبها المرحوم محافظ الخزانة: محمد العابد الفاسي عندما بكى ضياع الكثير من كتب الخزانة التي لم يبق لها أثر اليوم وأغلبها من وقف بني مرين[1]...

٢ - مخطوطة الخزانة الملكية[2] رقم ٨٤٨٨:

تضم هذه المخطوطة السفر الأول، وتقع في ٢٢٩ ورقة (كل ورقة منها صفحتان) مسطرتها ١٩ سطراً، ومقياسها ٢٢-١٦,٥ مكتوبة بخط مغربي مجوهر جميل وبحافاتها خروم شديدة، مجلدة بلون أحمر على غير ترتيب،بالرغم من أنها مرممة بعض الشيء، وتعتبر هذه النسخة في نظري في صدر النسخ التي وقفتُ عليها، واعتمدتُها كذلك، على ما سنرى،

(١) محمد العابد الفاسي: الخزانة العلمية بالمغرب بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس جامع القرويين، مطبعة الرسالة، الرباط ١٣٨٠= ١٩٦٠، ص ٣١/٣٢ قائمة لنوادر المخطوطات العربية، مطبعة النجمة، الرباط ١٩٦٠، ص ٦٢.

(٢) اشتهر الملوك المغاربة الذين تعاقبوا على الحكم بالحرص على اقتناء الكتب النفيسة، وكان ذلك مما تعتز به العروش العريقة، ليس فقط بدافع من شغف على الحصول على الذخائر النفيسة ولكنه حرص على نشر العلم وإيثار العلماء... وقد أصبحت الخزانة الملكية تحمل اسم الخزانة الحسنية (نسبة إلى الملك الحسن الثاني).

مضبوطة، ولو أنها مبتورة مع الأسف في بعض جهاتها حيث نجد بتراً في صفحة ١١١ أثناء حديث ابن بطوطة عن شيراز: نحو ست صفحات، كما نجد بتراً في صفحة ١٧٦ وابن بطوطة في مدينة مُطُرْني في آسيا الصغرى.

وعلى خلاف كل النسخ التي تنسب المقدمة خطأً إلى ابن بطوطة عند بداية الكتاب فقد كتب على رأس الصفحة الأولى ما يأتي:

«... الشيخ [(١)] الفقيه الكاتب البارع الناظم... عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه... العالم المتفنن أبي القاسم محمد... الكلبي الغرناطي عفا الله عنه.»

وهذه النسخة تحمل تاريخاً وهي تمضي كسائر النسخ إلى نهاية السفر الأول: «ومن هنالك بعث المخبرون بخبرنا إلى أرض الهند وعرفوا ملكها بكيفية أحوالنا. وها هنا ينتهي بنا الكلام في هذا السفر...»

٣ – مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم ٤٣٥٥:

مخطوطة ثانية للسفر الأول من رحلة ابن بطوطة تحمل على خلاف المعتاد اسم: (نزهة الخواطر وبهجة الأسماع والنواظر) وتقع في ٩٩ ورقة كبيرة، مسطرتها بين ١٨ و ١٩ و ٢٤، مقياسها ٣٢– ٢٠,٨ بخط مغربي كذلك، كتبت على الصفحة الأولى عبارة (ياكيكتج احفظ هذا الكتاب[(٢)])

---

(١) يلاحظ أن النقاط تعوض خروما في يمين الصفحة، كما يلاحظ شكل الضمة على حرف الخاء من كلمة الشيخ وعلى سائر النعوت فيما بعد، ومن ثم فإنني أفترض أن تكون الكلمة المخرومة قبل الشيخ، قال... وليس للشيخ كما يرى الأستاذ عنان.

محمد عبد الله عنان: فهارس الخزانة الملكية، المجلد الأول فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات.

(٢) د. التازي: الرموز السرية.... نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي ١٩٨٣ ص ٣٥.

ولا يحمل هذا السفر تاريخاً للنسخ(١) وقد تم البيع الأول فيه بتوقيع العدول واشتراه الفقيه عبد الواحد الشفشاوني من الفقيه عبد القادر الغزواني .

٤ – مخطوطة الخزانة الملكية رقم ٣٦٣١ :

مخطوطة ثالثة من هذا السفر الأول من الرحلة تقع في ٢٠٥ ورقة، مسطرتها ١٦ سطراً، مقياسها ٢٣ على ١٧، مكتوبة بخط مغربي، كثيرة الخروم من سائر أطرافها.

وهي تحمل في رأس الصفحة الأولى مايلي: «قال الشيخ الإمام العالم الأوحد أبو العباس سيدي أحمد بن بطوطة رحمه الله» ! وقد نسخت بثغر تطاون أوائل المحرم عام اثنين وأربعين وألف، وتحمل الورقة الأولى كذلك عبارة ياكيكتج ! وعلى الهامش الأيمن لهذه الصفحة صيغة شراء مؤرخة في رمضان سنة ١١٩٤، وهي مطابقة في نصها وترتيبها مطابقة تامة للنسخ المعهودة، بدءاً ونهاية .

٥ – مخطوطة الخزانة الملكية رقم ٨٢١٨ :

وهذه جزء من الرحلة يقع في ١٥١ ورقة، مسطرتها ١٤ سطراً، مقياسها ٢٦ على ١٧،والجزء مكتوب بخط مغربي واضح وبحافاته خروم شديدة، وهو يبدأ فقط من اجتماع الرحالة بناسك عبادان الذي دعا لابن بطوطة بأن يبلغه الله مراده في الدنيا والآخرة. «فقد بلغتُ – يقول ابن بطوطة – بحمد الله مرادي في الدنيا وهو السياحة في الأرض، وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلمه، وبقيت الأخرى والرجاء قوي في رحمة الله وتجاوزه وبلوغ المراد من دخول الجنة.»

---

(١) BROCKELMAN : ARABICHEN LITTERATUR 2 Band, Berlin 1902 P: 256 - 257- 332- 333- 365- 366 .

٦ - مخطوطة الخزانة الملكية رقم ٣٥٦ :

هذه مخطوطة غابت عن تدوين الأستاذ عنان رحمه الله، وهي تقع في مجلدين أحمرين، عدد أوراق الأول منهما ٢٠٩ بينما كان عدد أوراق الثاني ١٥٨ ورقة، مسطرتها ٣٣ سطراً ومقياسها ٢٦ على ١٨ .

وقد ورد في نهاية السفر الأول مايلي: انتهى في منسلخ محرم سنة ١١٢٥ وقد كتب التاريخ بالخط الفاسي أو القلم الرومي : عـ سـ ص ل، والمهم أن نقول هنا: إن هذه المخطوطة نقلت عن نسخة كتبت بخط ابن جزي الآتية الذكر فقد جاء في آخرها: وكان الفراغ من كتبها وتقييدها وتلخيصها وتهذيبها في صفر عام سبعة وخمسين وسبعمائة عرفنا الله خيره. وبعد هذا يأتي تاريخ نسخ السفر: انتهى الكتاب في منتصف المحرم من نفس السنة وقد كتب التاريخ بنفس الخط[1] .

٧- مخطوطة الخزانة الملكية رقم ١٥١ :

وهذه نسخة أيضاً غابت عن ذكر الأستاذ عنان، وهي نسخة جيدة الخط، ولكنها أحياناً في منتهى العياء خيطت خياطة سيئة بحيث تجد أوراقاً منها تتصل بالسفر الثاني حتى يصل إلى السودان صفحة ١٣٦، وهنا ينتقل السفر الأول حتى يصل إلى نهايته !! ص ٣١٠ وتتخلل هذه المخطوطة أوراقٌ تحتوي على فوائد لاصلة لها بالرحلة!

ومن الطرر التي نقرؤها على هامش المخطوطة حديث عن الفدية العظيمة التي تبرع بها السلطان أبو عنان لتحرير طرابلس من هيمنة جنوة حيث نقرأ: ويدخل في كل شهر لبيت مال المسلمين على يد مولانا إسماعيل

(١) د . التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج ٢، ص ٤١، رقم الايداع القانوني ١٩٨٦/٢٥، مطابع فضالة المحمدية.

نصره الله أكثر من هذا العدد المذكور الذي تعجب منه مؤلف الأصل».

ومعنى هذا أن النسخة ترجع لعهد السلطان مولاي إسماعيل. أوراقها ٣١٦، مسطرتها ٢٠، مقياسها ٢٤ على ١٧.

٨ - مخطوطة الخزانة الملكية رقم ٣٠٣٠:

وبعد هذا نقف على نسخةٍ كاملة موثقةٍ لابن بطوطة ويتعلق الأمر بالنسخة التي كانت تُقرأ بمجالس السلطان مولاي الحسن الأول والتي كان يعلق عليها عمه الأمير مولاي العباس في بعض الرحلات السلطانية عام ١٢٩٤=١٨٧٧.

لقد كنت أرجع إلى هذه النسخة عند الحاجة لأنها أولاً لم تنسُب في الورقة الأولى من السفر الأول، «المقدمة» التي كتبها ابن جزي إلى ابن بطوطة! وكان هذا عندي دليلاً على دقتها! ثم إنها كانت النسخة المملوكة قبلي من لدن مولاي العباس الذي نعلم أنه إلى جانب ثقافته ودبلوماسيته كان في وقت من الأوقات القائد الأعلى للجيش المغربي[1] ... ولعل من المفيد أن نشير إلى طرة هامة للأمير وهو يقرأ عن العطاء السخي للسلطان أبي عنان حتى يحرر طرابلس.

وجاءت أهمية الطرة من أن مولاي العباس كان هو الواسطة بين بلدنا وإسبانيا في أداء المغرب عشرين مليوناً من الريالات، حتى ترحل إسبانيا عن تطوان التي كانت احتلتها عام ١٨٦٠!.. قالت الطرة: «... واستعظمت الناس ذلك (العطاء من المغرب) جهلاً بالواقعة، وما دروا أنه لو بقي الأمر على حاله لعرفت البلاد الوبال..!!» ومن الطريف أن نجد طرة أخرى تقول

(١) ابن زيدان: ج ٢، ص ٤١٣: إتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، طبعة ثانية ١٤١٠= ١٩٩٠ تقديم: عبد الهادي التازي.

في آخر ورقة من المخطوط: الحمد لله فرغنا من مطالعة جميع الرحلة المباركة في يوم الأربعاء الخامس من شهر شعبان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف (١٥ غشت ١٨٧٧) بمحلّة مولانا أمير المؤمنين المؤيد بنصر الله الكريم المتين مولانا الحسن ابن أخينا سيدي محمد رحمه الله، أدام الله نصره في الخافقين، وأعانه بمنه آمين، وأعلى مناره في علّيين بلاد زمور بقرب؟ ضاية رومي...

عدد أوراق المخطوطة بسفريها ٧١٤، مسطرتها ٢١ مقياسها ٢٩ على ٢١.

٩ – مخطوطة الخزانة[1] العامة رقم ٢٣٩٩/ك:

هي السفر الثاني من الرحلة وكانت في الأصل ملكاً للخزانة الكتّانية، ولذلك يرمز لها بحرف الكاف. أوراقها تصل إلى ٣٦٠ ورقة مسطرتها ١٩ سطراً، مقياسها: ٢٤– ١٨.

النسخة خيطت بالغلط على نحو النسخة السابقة التي تحمل في الخزانة الحسنية رقم ٨٤٨٨، وهي مبتورة الأول على عادة معظم المخطوطات لكن البتر البيّن فيها والذي كان على مايبدو متعمداً هو الذي يتصل بزيارة ابن بطوطة للأندلس. وموضوع الزيارة هذا هو الذي اهتم به المستشرق المعروف الأستاذ ليفي بروفينصال وهو كما نعلم صديق للشيخ الكتاني، فلا يبعد أن يكون أعارهُ هذه الورقات الخاصة بالأندلس فلم يعِدها بروفنصال

---

(١) أمام الحاجة الملحة لمنح مدينة الرباط فرصةً للاستفادة بعد أن أصبحت عاصمةً إدارية للمغرب في أعقاب ثورة فاس على نصب الحماية الفرنسية عام ١٩١٢، نتيجةً لذلك أنشئت الخزانة العامة سنة ١٩٢٢ لا للحفاظ فقط على الكتب ولكن لتأسيس مرجع لسائر التآليف التي لها صلة بالمغرب والشؤون الاسلامية... وما فتئت الخزانة العامة منذ استرجاع الاستقلال عام ١٩٥٦ تعمل تحت السلطة المباشرة لعميد جامعة محمد الخامس.

ROYAUME DU MAROC, Mission de L´ UNESCO: Liste de Manuscrits Arabes... Rabat 1992 .

إلى صاحبها على عكس ما كان بالنسبة لمخطوطة (صلة الصلة) لابن الزبير[1] ...

وهذه النسخة لها شبه بالنسخة التي تحمل رقم ٨٤٨٨ في الخزانة الحسنية...

١٠ - مخطوطة الخزانة العامة رقم ٢٠٤١:

هذه نسخة كاملة بالخزانة العامة لكنها تبتدئ بنسبة المقدمة لابن بطُّوطة! «قال الشيخ الفقيه السائح الثقة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي شمس الدين ابن بطوطة المعروف بالشريف الغرناطي تغمده الله برحمته».

وكان الفراغ من انتساخ السفر الأوّل يوم ٢٠ محرم ١١٣٣ وانتهى نسخ السفر الثاني صبيحة يوم الخميس الرابع من صفر الخير عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف...

عدد أوراقها: ٤٩٨، مسطرتها ٣٢ سطراً... مقياسها ٢١/٢٨.

١١ - مخطوطة الخزانة العامة ٢٤٧ق :

هذه المخطوطة « مما امتن الله به على الزاوية الناصرية » اكتمل نسخها يوم الأحد مستهلّ شهر رجب الفرد المبارك عام ستة وعشرين وتسعمائة عرّفنا الله خيره ، وأعتقد أن هذه النسخة التي اعتمد عليها التمگروتي (تـ ١٠٠٣= ١٥٩٤ -٩٥) في كتابه : (النفحة المسكية في السفارة

---

(١) حسب تقييد بخط المرحوم عبد السلام بن سودة وُجد طرفٌ من صلة الصلة بخزانة الكتاني من الأول والأخير وبعض الوسط أخذه منه المستشرق ليفي بروفنصال وطبعه على بتره. وأثناء البحث في خزانة القرويين وجدت الأطراف التي تخص الجزء بتمامها وعلى أول الجزء تحبيس كله على خزانة القرويين. وعند تقييد خزانة الكتاني وجد بها الجزء الذي أخذه بروفنصال المذكور، وهو بها تحت عدد ٣٩١. وبمقابلته مع الأوراق التي هي الآن بخزانة القرويين تجد الخط واحداً والقالب واحداً والرقاص مساوياً مع المبشور من الجزء من غير زيادة ولا نقص..

التركية(١)»..

ويلاحظ حرف القاف الذي يقترن بالرقم وهو يشير للأوقاف، والمخطوط فعلاً من (مخطوطات الأوقاف على الزاوية المذكورة).

نسخة مكتوبة بعناية كبيرة، وقد صورت بالميكروفيلم الذي يحمل رقم ٣٢٥.

عدد أوراق المجلد ٤٥٢، مسطرته ١٩، مقياسه ٢٩ على ٢٠.

وتحمل هذه النسخة الناصرية عدداً من الطرر المفيدة والطريفة فقد علق صاحبها مثلاً على قول: إن أم المؤمنين عائشة سمعت الحديث في موضع بجامع دمشق: قال: إن هذا خطأ صراح! فإن عائشة توفيت قبل بناء المسجد بمدة كثيرة... والعجب من ابن جزي كيف أثبت هذا مع علمه واطلاعه. وكتبه محمد المكي بن محمد ناصر الذي كان بفاس عام ١١٦٠، ولقي شيخه الأديب محمد ونان التواتي الملوكي.

١٢ – مخطوطة الخزانة العامة ٢٤٨ ق :

هذه المخطوطة مما نسخ لخزانة مولانا السلطان أمير المسلمين أبي عبد الله (محمد الشيخ) نصر الله أعلامه وأمد في خير وعافية أيامه... فهي تحمل تاريخ شهر رمضان المعظم من سنة تسع وثمانين وثمانمائة: ٨٨٩. والغريب

(١) ينقل التمگروتي عن ابن بطوطة عند كلامه عن (قابس) لكن ما ذكره إنما يوجد معظمه في البكري، كما نقل عن ابن بطوطة عند حديثه عن آيا صوفيا باسطامبول، وهذا صحيح

التمگروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية

Relation d´une Ambassade de Marocaine en Turquie. 1589- 1591.

Traduite et annotée par H. De Castries Paris 1929.

في هذه النسخة أنها تشعرنا بأن كتاب الرحلة قسم على أجزاء وليس على جزأين، وهكذا فإن هذا السفر الذي نعت بالثاني إنما هو تكملة للجزء الأول فهو يبتدئ بأخبار سلطان شيراز... وحتى نعرف مدى اهتمام الملوك الوطاسيين بالرحلة وتيسيرها للعامة لقراءتها، وجدنا أن هذه النسخة المخصصة للخزانة الملكية[1] تشكل شكلاً تاماً... ويلاحظ أن عليها طابع الزاوية الناصرية وكانت تحمل فيها رقم ١٠٧٠ ص، وتعتبر هذه النسخة من أقدم النسخ التي تتوفر عليها الخزائن المغربية ويحمل الميكروفيلم لهذه المخطوطة رقم ٣٢٦. ويدل بعض أوراقها بما تحمله من تعاليق وطرر على أن الحجاج المغاربة والمثقفين منهم خاصة، كانوا يصحبون معهم رحلة ابن بطوطة للاستئناس بها. عدد الأوراق ٢٦٢ المسطرة ١٧ المقياس ٢٨- ١٧.

١٣ - مخطوطة وزان ٣١:

هذه نسخة تحتوي على السفرين الاثنين من الرحلة، كنتُ وقفت على أثرها منذ صيف ١٩٤١ لما زرت خزانة وزان لأول مرة صحبة قاضي المدينة الفقيه ابن جلون رحمه الله وكتبت عنها مذكرة ماتزال ضمن مقيداتي.

يبتدئ السفر الأول بعد البسملة - على العادة! - هكذا: قال الشيخ الإمام الفقيه الصالح الثقة أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله ورضي عنه...

وقد كانت في ملك بعض الأشراف من أهل وزان: محمد بن عبد الجبار بن علي بن أحمد وانتقلت إلى ولده محمد، ثم دخلت في أحباس

(١) كان لبني وطاس دور بارز في إثراء خزائن المخطوطات بالمغرب. راجع العابد الفاسي في كتابه الخزانة العلمية ص ٣٥/٣٦/٣٧.

المسجد الأعظم بالشراء من ورثة الشريف أعلاه[(١)] ...

وينتهي السفر الثاني بذكر تاريخ النسخ الذي هو سنة ١٢١١ أو ١٢٧٧. أوراقها: الجزء الأول ٢٠١ ورقة والثاني ١٢٤ ورقة، كل ورقة بها صفحتان مسطرتها ١٩ مقياسها ٢٢- ١٧.

١٤ - مخطوطة خزانة مراكش رقم ٤١٢:

هذه النسخة تحتوي على السفرين معاً في مُجلد واحد «وكان الفراغ من تسويد هذه الرحلة الأنيقة... لستٌ ليالٍ خلون من جمادى الأولى صبيحة يوم الجمعة سنة تسع ومائة وألف». وبالنسخة خروم قليلة في الصفحات الأولى، وكانت حبساً على مسجد الفهري سيدي أبي العباس عام ١١٥٨ أوراقها ٢٤٨، مسطرتها ٢٤ سطراً، مقياسها ٢٨ على ١٨.

فهرس مخططات خزانة ابن يوسف بمراكش للأستاذ الصّدّيق بلعربي، صفحة ٢٧.

١٥ - مخطوطة المكتبة الوطنية بباريز رقم ٢٢٨٩= ٩١٠:

هذه المخطوطة- وما بعدها- كانت تابعة للخزانة الملكية الفرنسية (Bibliothéque Royale) وتحمل طابعها القديم.

والمزية الأولى لهذه النسخة أنها من أكمل وأضبط النسخ باستثناء الديباجة التي أقحمت في فاتحة الرحلة، وبغير خطّها الأصلي! والتي تزعم أن «المقدمة» هي من قول ابن بطوطة[(٢)] ،مع أنها- كما هو واضح- من عمل

---

(١) أشكر بهذه المناسبة السيد عبد الكريم ملين محافظ الخزانة على مساعدته القيمة...

(٢) اعتاد النساخ أن يتركوا- عند الصفحة الأولى من المخطوط- بين البسملة وبين المتن فضاءً يسع نحو ثلاثة أو أربعة سطور يملؤه «من» يأتي بعد ممن يحلّي المؤلف بالنعوت اللائقة.

الكاتب ابن جزي... فلو أن الناشرين استغنيا عن تلك الديباجة الطفيلية على المخطوطة أو نبّها على الأقل لتفاهتها لجنبتنا كل الذين نقلوا عنهما تكرار هذا الخطأ (راجع مخطوطة الخزانة الملكية ٨٤٨٨).

وتحمل هذه النسخة رقم ٢٢٨٩ الذي يوازيه رقم إضافي ١١٠ sup إلى جانب كلمة Arabe للتمييز بين اللغة العربية وباقي مخطوطات اللغات الشرقية التي تصل في المكتبة إلى نحو ٨٠ لغة!

وقد ختم السفر الأول بهذه الكلمات:

«وكان الفراغ من كتابة هذا السفر المبارك (الأول) في يوم الاثنين وهو أول يوم من محرم الحرام عشية من عام ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف= ٩ يونيه ١٧٦٦ على يد العبد الفقير.. محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد ساسى البوني التميمي... وقد كتبت أكثره وأنا بحال مرض نسأل الله الشفاء...» بينما ختم السفر الثاني بهذه الكلمات: «كمل السفر الثاني من (الدرر الملقوطة في رحلة ابن بطوطة) على يد العبد الفقير محمد بن أحمد... بن محمد ساسى بن إبراهيم بن محمد بلعيد... شفاه الله من جميع الأسقام... وكان ذلك صبيحة يوم الحادي عشر من صفر الخير من عام ثمانين ومائة وألف».

وهي تحتوي على ١٥٣ ورقة،مسطرتها ٣١ مقياسها ٣٠- ٢٠.

١٦ – مخطوطة المكتبة الوطنية بباريز رقم ٢٢٨٧: ٩٠٩

وهذه النسخة بسفريْها كانت ملكاً لشخصيةٍ فرنسية دولابورط Delaporte.

وتحتوي المخطوطة– التي تحمل كذلك رقماً إضافياً ٩٠٩ Sup على ٢٠٦ورقة (كل منها يضم صفحتين)، مسطرتها ٢٨ سطراً، مقياسها ٢٩ على ٢٠.

ولا يحتوي السفر الأول ولا الثاني على إشارة لتاريخ النسخ وإنما يكتفي الناسخ بالدعاء في السفر الثاني لمن قرأها وسعى في كتبها... بما يعبر عن رضا الناس على الرحلة...

١٧ – مخطوطة المكتبة الوطنية بباريز رقم ٢٢٨٨: ٩١١

وهذه النسخة ضاعت منها الورقة الأولى والورقتان الأخيرتان علاوة على بعض البتر والتحريف، وهي تحمل كذلك رقماً إضافياً ٩١١ Sup

وتحتوي على ١٦٠ ورقة، مسطرة ٢٧ سطراً، مقياسها ٣٠ على ٢٠.

ولا تحمل خاتمة السفر الأول تاريخاً... بينما يحمل أول السفر الثاني اسماً جديداً للرحلة وهو (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر[1] وهو اسم يضاف إلى الاسم الآخر الذي مر بنا: (الدرر الملقوطة في رحلة ابن بطوطة).

١٨ – مخطوطة المكتبة الوطنية بباريز رقم ٢٢٩٠: ٩٠٨

تبتدئ هذه النسخة التي تقتصر على السفر الأول بفهرست الرحلة: العناوين وأرقام الصفحات بالأرقام الهندية مما يرجح لدي أن دُولابورط أتى بها من بلادٍ كانت تحت الحكم العثماني... ولها رقم إضافي هو ٩٠٨ Sup.

تحتوي على مائتي ورقة (كل ورقة بها صفحتان) مسطرتها ٢٠ سطراً المقياس ٣١ على ٢١ وقد نص في آخرها على نسخها تم أواسط صفر سنة ١١٣٤... (النصف الأول من دجنبر ١٧٢١) وذكر في أول الصفحة أن

---

(١) يتساءل هل لهذا صلة بمخطوط النزهة في أخبار الأقطار والبلدان، العابد الفاسي: الخزانة العلمية بالمغرب، ص ٣٢.

[سبق ذكر هذا الاسم عنواناً لمخطوطة رحلة ابن بطوطة المحفوظة في الخزانة الملكية بالرباط– انظر رقم ٣/المجلة].

المقادير ساقته إلى نوبة سالم بن الحاج يحيى الساسي (؟) بالشراء الصحيح... بتاريخ أوائل شعبان في السنة الثانية من العشرة الثانية من المائة الثانية من الألف الثانية ١٢١٢.

١٩ - مخطوطة المكتبة الوطنية بباريز رقم ٢٢٩١= ٩٠٧:

تضم هذه النسخة السفر الثاني من الرحلة، وتعرف بمخطوطة دولابورط (Delaporte) كما هو مكتوب بالفرنسية على ظهر الورقة الأولى، ودولابورط هذا مستعرب فرنسي تقلب في عدة وظائف هامة وخاصة ببعض البلاد العربية مثل مصر وليبيا والجزائر... وكان منها المغرب: أولاً بطنجة التي عمل فيها قنصلاً أيام السلطان مولاي سليمان، حيث اجتمع في خريف ١٨٢٨ مع رُوني كايي العائد من تونبكتو... وثانياً في الصويرة حيث نجده صحبة اليوتنان كولونيل دريدريك دولاري (De Larüe) المبعوث إلى مكناس عام ١٨٣٦ أيام السلطان مولاي عبد الرحمن لتقديم احتجاج فرنسا على العاهل المغربي الذي ماانفكّ يساعد ثورة الأمير عبد القادر، حيث نرى السلطان يعهد إلى الوزير محمد الطيب البياز بمتابعة المفاوضات مع البعثة الفرنسية(١).

فيترجح لديّ أنه عندما كان بطنجة أولاً تمكن من الحصول على هذا السفر الثاني من رحلة ابن بطوطة... وقد علق فهرس المكتبة الوطنية الذي ألفه البارون دوسلان بما يفيد أن هذا السفر هو بخط ابن جزي عام ٧٥٧= ١٣٥٦ . والواقع أن هذا السفر يتميز عن غيره من معظم النسخ بأنه

---

(١) PHILIPPE DE COSSE BRISSAC: Les Rapports de La France et du Maroc Pendant La Conquéte Da L´Algerie 1839- 1847 Paris 1931

ينص في آخره على جملةٍ لاتوجد في غيره إلا نادراً.

«وكان الفراغ من كتبها في صفر عام ١٧٥٧ عرف الله من كتبها[١]».

ومع أن هذه النسخة على ماقلنا، أي إنها من أقدم النسخ التي عرفنا للرحلة، فإنها لاتخلو من بعض الأخطاء الإملائية واللغوية مثل جمع جزيرة على جزور بالواو، ورسم الدينار بدون ألف، وكتابة المُرسا بالألف عوض المرسى، إلى هفوات أخرى عدَّدها دوسلان[٢].

٢٠ - مخطوطة دار الكتب تونس رقم ٥٠٤٨ بـ: ٠

وقفت على هذه المخطوطة في عين المكان[٣]، وهي نسخة جيّدة، وجاءت جودتها من أنها كانت ملكاً لأحمد باشا باي صاحب كرسي تونس الذي حبسها على «من له أهلية الانتفاع بها ولو استنساخا» بتاريخ أواخر رمضان المعظم من عام ١٢٥٦= أواخر عام ١٨٤٠.

وقد ختم السفر المكتوب بخط مغربي بإعطاء اسم جديد للرحلة سبق أن سمعناه وهو: «الدرر الملقوطة في رحلة ابن بطوطة».

وقد اهتم مالك المخطوطة بالتعريف ببعض المواقع الجغرافية بما ينقله عن بعض المصادر المتداولة نحو كتاب فتوح إفريقية أو الممالك تأليف

---

(١) عثرت في نسخة واحدة من نسخ الخزانة الملكية (رقم ٣٥٦) على وجود بعض تغيرات أهمها: (عرفنا الله خيره) عوض (عرف الله من كتبها)!

(٢) M: G. De Slane: Lettre A. M. Reinaud, Journal Asiatique Mars 1943.

(٣) أغتنم هذه الفرصة لأجدد شكري للزميل د. شيخة محافظ الدار وسائر السادة الزملاء الذين ساعدوني...»

الشريشي...

صفحات المخطوط ٢٦٣ مسطرتها ٣٣، مقياسها ٢٧– ١٩.

٢١ – مخطوطة كايانكوس (بدون رقم)

أثار انتباهي لهذه النسخة حديث المستشرق الهولاندي المعروف رينهارت دوزي عنها في كتابه «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» الذي ترجمه الباحث العراقي د. أكرم فاضل[1]. عندما ذكر أن دي گايانگوس (De Gayangos) أعاره النسخة النفيسة لرحلة ابن بطوطة التي يمتلكها هو ... «إن هذا الكتاب – يقول دوزي– كتاب من النسق الرفيع أما المختصر المترجم من قبل لي (Lee) فإنه لايعطينا إلا فكرة ضعيفة كل الضعف عن أهمية الكتاب الأصلي.»

ومن هنا اتجهت إلى زملائي في ليدن الذين أشاروا علي بالتوجه نحو مدريد للاتصال بالأكاديمية الملكية للتاريخ (Real Academia de La Historia) التي استجابت لرغبتي مشكورة[2].

هذه النسخة يحتوي السفر الأول منها على ٣٣١ صفحة بينما يحتوي السفر الثاني على ٢٤٥ صفحة، مسطرتها ٢١ سطراً، مقياسها ٢٨ على ١٣. خط مغربي واضح، وتبتدئ بعد البسملة والتصلية هكذا وعلى العادة!

---

(١) وزارة الأعلام– العراق، سلسلة المعاجم، ص ١١.

(٢) أتوجه بالشكر الجزيل لزميلي في ليدن الدكتور فان كونينكسفيلد (Dr. P.s Van Koningsveld) كما أتوجه بشكري للأكاديمية الملكية للتاريخ على رسالتها بتاريخ ٧ مايه ١٩٩١، وعلى الخصوص زميلنا الأستاذ غارسيا غوميس عضو الأكاديمية الإسبانية والمغربية.

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله...

وتختتم الرحلة بالحديث عن تاريخ تقييد ابن بطوطة لرحلته لكنها - وهذه ملاحظة أثارت انتباهي- لاتنص كمخطوطة دولابورط ومخطوطة الخزانة الملكية رقم ٣٥٦ على أن الفراغ من كتبها من لدن ابن جزيّ كان في صفر عام سبعة وخمسين وسبع مائة.

وقد نص على أن ناسخ الرحلة هو أحمد بن عبد الرحمن المغيلي غفر الله ذنوبه وغفر لوالديه... ولكاسبه وقارئه ولمن سعى في كتبه... بتاريخ ثامن من صفر الخير عام تسعة وثلاثين ومائة وألف.

• • •

٢٢ - مخطوطة الأكاديمية العلمية بلشبونة

وقد وقفت على المخطوطة التي طالما تحدث الباحثون عنها، ويتعلق الأمر بالنسخة التي اقتناها الأب خوسي دي سانطو أنطونيو مورا (josé de Santo-Antonio Moura) من فاس أثناء وجوده ضمن سفارة وردت من البرتغال عام ١٧٩٧= ١٢١١ وترجم قسماً منها إلى البرتغالية، وقفتُ عليها في يناير ١٩٩٣ بالأكاديمية العلمية في لشبونة[1]...

والمهمّ أن نعرف أن مخطوطة ابن بطوطة هذه نسخت في تنبكتو المحروسة وقد وافق الفراغ منها أواسط رجب عام ثلاثة وأربعين وألف (أواسط يناير ١٦٣٤) أي أيام الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور الذهبي

---

(١) طبعت هذه الترجمة عام ١٨٤٠ في مجلدين، وقفت عليهما بالمكتبة الوطنية في العاصمة البرتغالية.

(١٠٤٠- ١٠٤٥= ١٦٣٠- ١٦٣٥)[١]...

ومعنى هذا أن مخطوطة ابن بطُّوطة كانت معروفةً بل مطلوبةً في تبكتو وبلاد التكرور، وهو الأمر الذي يفسر لنا سبب قيام أبي عبد الله محمد الولاتي بترجمةٍ لابن بطوطةً في كتابه: (فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور) ترجم له ولو أنه أي ابن بطوطة ليس من تلك الجهات تكريماً له وتقديراً لمقامه.

٢٣ - مخطوطة الشيخ حمودة:

وهناك مخطوطة للشيخ حمُّودة[٢] بن لفغون شيخ الإسلام في قسطنطينة، وقد نسخت بتاريخ ٢٢ شوال ١١٦٠= ١٧ أكتوبر ١٧٤٧ م وقد أشار إليها الناشران الفرنسيان ديفريميري وسانگينتي في مقدمة ترجمتهما للرحلة وردَّد ذلك فانسان مونطي في مدخله الجديد...

٢٤ - وقد أهدى لي زميلي التونسي الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب دار الغرب الإسلامي في بيروت، صورةً مخطوطةً للرحلة يمتلكها تقع في سفرين مختلفي الخط ورقاتها من طول ٢١ على ١٤س، مسطرتها: السفر الأول ٢١ بينما كانت مسطرة الثاني ١٧، وهكذا فإن صفحات الأول تصل إلى ٣٢٠، بينما تبلغ صفحات السفر الثاني ٣٥٦. كانت المخطوطة في ملك الحاج محمد بن حسين العريبي القلاَّل عام ١٢٥٧هـ قبل أن تنتقل إلى

---

(١) أصبحت المخطوطة ملكاً لأحد حفدة السلطان المولى إسماعيل.

(٢) الشيخ حمُّودة هذا هو الذي اعتمد على خزانته الدكتور لوسيان لوكلير عند اشتغاله بكتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار

Notices et extraits de manuscrits de la Bibliothèque Nationale,... Paris 1881- 1883 P. XIII .

محمد بن الحاج- بالشّراء الصحيح- على يد الدلال محمود السعيدي يوم ١٨ ربيع الأنور عام ١٢٨٦هـ، والمهم في هذه النسخة أن ديباجتها لاترتكب الخطأ الذي وقع فيه بعض النساخ من نسبة المقدمة إلى ابن بطوطة مع العلم أن المقدمة- كما قلنا مراراً- هي بقلم ابن جزي، ويلاحظ كذلك أن ناسخ السفر الأول لم ينتبه للوقوف حيث انتهى سائر النساخ... ومن هناك وجدنا أن ناسخ السفر الثاني ابتدأه بالوصول إلى مدينة بخارى عوض الوصول إلى وادي السند المعروف بنج أب.

• • •

وإذا كانت الرّحلة قد عرفت ذلك العدد العديد مما عرفنا بعضه من النسخ، فقد كان من مظاهر العناية بها قيام بعض المشايخ «بانتقاء» أو «اختصار» بعض الأطراف منها، وقد كان في صدر هؤلاء العلامة محمد بن فتح الله بن محمود بن محمد البيلوني[1] الحلبي المتوفّى سنة ١٠٨٥= ١٦٧٤[2] ...

وهذا «المنتقى للبيلوني» هو الذي قام القس صموئيل لي (Lee)

(١) نشأ بحلب ورحل إلى الرُّوم وسلك طريق القضاء، والبيلوني نسبة إلى البيلون، وهو نوع من الطين يستعمل في الحمامات لتلطيف البشرة. وقد قرأنا في (موسوعة حلب المقارنة) أن كلمة البيلون مستمدة من اليونانية (Valaniyon) بمعنى الحمام... ومن أقوالهم: فلان لايميز بين الصابون والبيلون. وقد وقفتُ عليه في دكاكين حلب بمساعدة د. محمد البيلوني الذي أمدني بصورة لما قيل عن أسرة البيلوني في كتاب (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) تأليف محمد راغب الطباخ الحلبي ج ٦ غير أن هذا التأليف لم يتعرض لاختصار البيلوني لرحلة ابن بطوطة.

(٢) المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٤ ص ١٠٥ المطبعة الوطنية ١٢٨٤.

بترجمته عام ١٨٢٩[1]، والذي قال عنه دوزي قبل قليل عند الحديث عن النسخة التي اعتمد عليها لگايانگوس: «إن ذلك «المنتقى» لا يعطي إلاَّ فكرةً ضعيفةً كل الضعف عن أهمية الكتابِ الأصلي».

وقد توفرتْ مكتبتي على عددٍ من نسخ هذا «المنتقى»:

٢٥ – مخطوطة وقف تيمور دار الكتب المصرية (أ):

ميكروفيلم رقم ١٧٧٣٢ نسخة (أ)

وهي تحمل تاريخ يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وألف ١٠٩١ هـ= ١٦٧٤ م كتاريخ لتحريرها أي بعد ست سنوات فقط من وفاة البيلوني... وهي تحتوي على ١٩٧ صفحة، مسطرتها ١٩ سطراً مقياسها ٢٤ على ١٦.

٢٦– نسخة أخرى من وقف تيمور.. نسخة (ب) :

وهذه نسخة أخرى أنجز تحريرها على يد كاتبها الفقير علي الإسلامبولي في ١٥ شهر شوال ١٢٧٢، وفي أسفل هذا توجد طرة تقول: «ونقلت من نسخة بخط الفاضل الشيخ محمد العزيزي، كان كتبها برسم الشيخ سليمان الفيومي، وتاريخها ١٧ شوال ١٢١٠= ١٧٩٦ وقوبلت عليها وشارك في مقابلة البعض كاتبه الفقير نصرالهوريني (ت ١٢٩١= ١٨٧٤)... وكان ذلك في قصر حضرة عبد الحميد بيك نافع؟ الذي كتبت هذه النسخة برسمه أسبغ الله عليه ظلال نعمه؟

(١) The Travels of Ibn BATTUTA, by The Rev Samuel Lee, Cambridge January 24 Th 1829. First Edition 1829- New Impressin 1984.

أوراقها ١٤٦ (في كل واحدة صفحتان) ، المسطرة ٢١ سطراً، المقياس ٢٢ على ١٢.

٢٧ – مخطوطة الفاتيكان رقم ١٦٠١ (جـ):

وهذه نسخة أخرى من منتقى البيلوني وقد كتبت في أوائل رجب الفرد المعظم من شهور سنة أربع وثمانين ومائة وألف (١١٨٤).

عدد أوراقها ١١٢ (في كل ورقة منها صفحتان) مسطرتها ٢١ سطراً، مقياسها ٢٠ على ١٥، خط شرقي كسابقه[١] .

٢٨ – مخطوطة الأزهر رقم ٤٠٦٣ (د):

هذه نسخة كتبت بتاريخ ١٧ شعبان ١٢١٠ على مانقرؤه في آخر المخطوطة وهي تذكر أنها كتبت على يد الفقير محمد بن أحمد العزيزي الشافعي الأزهري برسم «الأستاذ الأعظم» الشيخ سليمان الفيومي، وعلى رأس الورقة الأولى من المخطوط هامش يحدد تاريخ رحلة ابن بطوطة ونهايتها وتوقيع الشيخ نصرالهوريني ثم تاريخ ١٢٢٣.

عدد أوراقها ٧٢ (في كل ورقة صفحتان) ، مسطرتها ٢٣ سطراً، مقياسها ٢٠ على ١٤. ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الورقة الأولى من هذه المخطوطة: وهي التي تحمل العنوان، تحتوي على قطعتين شعريتين لهما دلالة جد مفيدة على مصداقية رحلة ابن بطوطة، وعلى المركز الذي كانت تنعم به في المشرق منذ ذلك التاريخ: القرن الحادي عشر الهجري، عندما ظهر «المنتقى»، حيث كان الناس يتوقون للحصول على «منتقاها» مادامو لم

---

(١) نغتنم هذه الفرصة لنقدم شكرنا إلى مونسينور جاكلين الذي أهدى إلينا صورة لهذه المخطوطة نيابةً عن مكتبة الفاتيكان.

يستطيعوا الحصول على «أصلها»:

تقول القطعة الأولى:

إذا مـا رحلة الطنجـي عـزت ... وشـح بـهـا لئيـم أو كـريمُ
وألـفيت؟ المـلخص والمنـقّـى ... مـن ابن جـزيٍّ البحرُ الخضِيـم
فـدع نجداً لساكنـه وأعرض ... وحسبك مـن عرارتـه شميم!!

وهو يشير في البيت الأخير إلى البيت المعروف:

تمتـع مـن شميم عـرار نجـد ... فمـا بعـد العشية مـن عـرار

ثم تقول القطعة الثانية التي تصف الرحلة الأهلية بأنها «قطب» لجميع الرحلات:

حـيث أبصـرت رحـلةً لإمام ... فهـي ذيل لـرحلة ابن بطـوطة
إنما الكـون دارة، وهـي قطب ... بجمـيع الجهـات منه منـوطة
جـعل الله روحـه فـي رياضٍ ... حـيثما ينسج الغمام خيوطه[(١)] !

ونعتقد أنه من المهم أن نورد ماجاء في ديباجة (المنتقى) للبيلوني «... هذا انتقيته مما لخصه الامام الكاتب محمد بن جزي الكلبي من رحلة الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، وإنما انتقيت ماكان غريباً غير مشهور أو مشهور النقل لكن ربما لايعتمد عليه لغرابته وتسامحِ المؤرخين في النقل غالباً فأثبته لكون صاحب الرحلة ثقة وكتب ماثبت عنه من أخبار الأمم والأقطار، فنقلُ الصدوق أوقع في الاعتبار والاستبصار، وبعض مانقله قد يخالف ماذكره غيره كما في وصفه بعض ماشاهده من عقاقير الهند،

---

(١) يعتقد د. محمود الشرقاوي أن الأبيات للبيلوني، وأستبعدُ ذلك لعدم وجود مايؤيده والذي أعتقده أنه تقريظٌ من أحد الموالين... انظر كتابه: رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وإفريقيا، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨،صفحة ٩- ١٠.

فإن بعضه مخالف لما ذكره الأطباء في وصفها، والظنّ بالشيخ الصدق. وقد خرج الشيخ ابن بطوطة صاحب الرحلة بقصد الحج والسياحة من بلدته طنجة عام خمسة وعشرين وسبعمائة، وإنما أذكر بعض أسماء البلاد التي اجتازها في رحلته وإن لم يكن في ذلك كبير فائدة للتنبيه على كمال همته وتوكله وعدم سآمته من الحل والترحال وقطع مشاق الفيافي والجبال...»

٢٩ - «منتخب» الرحلة لمؤلف مجهول رقم ٢٢٧٤١:

وإلى جانب «منتقى» البيلوني بنسخه الأربع، ظهر «منتخب» الرحلة ٢٢٧٤١ لمؤلفٍ مجهول، وافق الفراغ منه يوم الثلاثاء رابع شهر ذي القعدة من أشهر سنة ألف ومائة واثنين من الهجرة النبوية و (٣٠ يوليه ١٦٩١) أخذت النسخة عن الميكروفيلم رقم ٢٢٧٤١، دار الكتب القومية...

أوراقها ٤٦ (في كل ورقة صفحتان)، المسطرة ٢١ سطراً ومقياسها ٢٢ على ١٤.

وقد طبع هذا «المنتخب» في القاهرة أواخر ربيع الأول ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م على نفقة أحمد أفندي الأزهري بتصحيح الشيخ علي المخللاتي، ويقع في ٧٩ صفحة، ولذلك يعرف هذا «المنتخب» باسم منتخب الأزهري. ونرى كذلك من المفيد أن نورد ما جاء في مقدمة (المنتخب):

«... وبعد فهذا «ماانتخبته» من مختصر رحلة الإمام العالم الرحال السائح في البلاد أبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة المغربي المعروف في البلاد المشرقية بالشيخ شمس الدين وهو الذي طوق الآفاق معتبرا، وطوى الأمصار مختبراً وباحث فرق الأمم، وسير العرب والعجم، التي اختصرها وضبط مشكل ألفاظها الشيخ الإمام العلامة محمد بن محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي المغربي، بإشارة أمير المؤمنين المتوكل على

الله سلطان الحضرة الفاسية..»

• • •

والحديث عن مختصرات الرحلة يدعونا إلى التساؤل عن تاريخ وصول مخطوطة الرحلة إلى بلاد المشرق وبلاد الشام، فنحن نعلم عن اهتمام المغاربة بما يصدر عن المشارقة، والعكس صحيح، فمتى وصلت الرحلة إلى تلك الجهات؟

إنّ المقريزي عندما يتحدث عن معركة (مرج الصفار) التي وقعت كما هو معلوم يوم ثاني رمضان ٧٠٢ = ٢٠ أبريل ١٣٠٣، والتي تحدث عنها ابن بطُّوطة، أقول: إن المقريزي لم يشر لما رواه ابن بطوطة وهو الأمر الذي يدلّ على أن الرحلة لم تكن قد وصلت للمشرق على عهد المقريزي المتوفى ٨٤٥= ١٤٤١.

وكذلك فإن ابن إياس الذي توفي عام ٩٣٠= ١٥٢٤ لم يعرج على معلومات ابن بطوطة حول تلك المعركة، ومعنى هذا أن الرحلة لم تكن قد وصلت إلى تلك الديار.

لكن «منتقى» البيلوني وهو قد توفي عام ١٠٨٥= ١٦٧٤ ومختصر الأزهري وقد فرغ منه عام ١١٠٢= ١٦٩١... كلا العملين يدلاّن على أن المؤلِّفين كانا يتوفران على نص الرحلة وإلا فكيف يقومان بـ «الانتقاء» منها أو «الانتخاب»؟ فهل وصلت الرحلة عن طريق أحد الحجاج أو الدبلوماسيين للمشرق، أو طريق مشرقي ورد على المغرب وحمل الرحلة معه؟

إني على مثل اليقين من أنّ الذي حمل أخبار الرحلة إلى تلك الديار هو التمگروتي سفيرنا إلى القسطنطينية عام ٩٩٧= ١٥٨٩ الذي نجده ينقل عنها في رحلته (النفحة المسكية[1])...

---

(١) نشرها دو كاستري ضمن حديثه عن السعديين.

وقد أتى بعده المقّري الذي ردد «ترتيب» الرحلة في موسوعته (نفح الطيب) بعد أن غادر المغرب عام ١٠٢٧= ١٦١٨[1] .

ومن هنا نؤكد أن الرحلة لم تنتظر الزّياني ليحملها معه عام ١١٦٩= ١٧٥٦ إلى موسم الحج مشهّراً بها منددا[2] ...

٣٠ - نسخة ضومباي النمساوي:

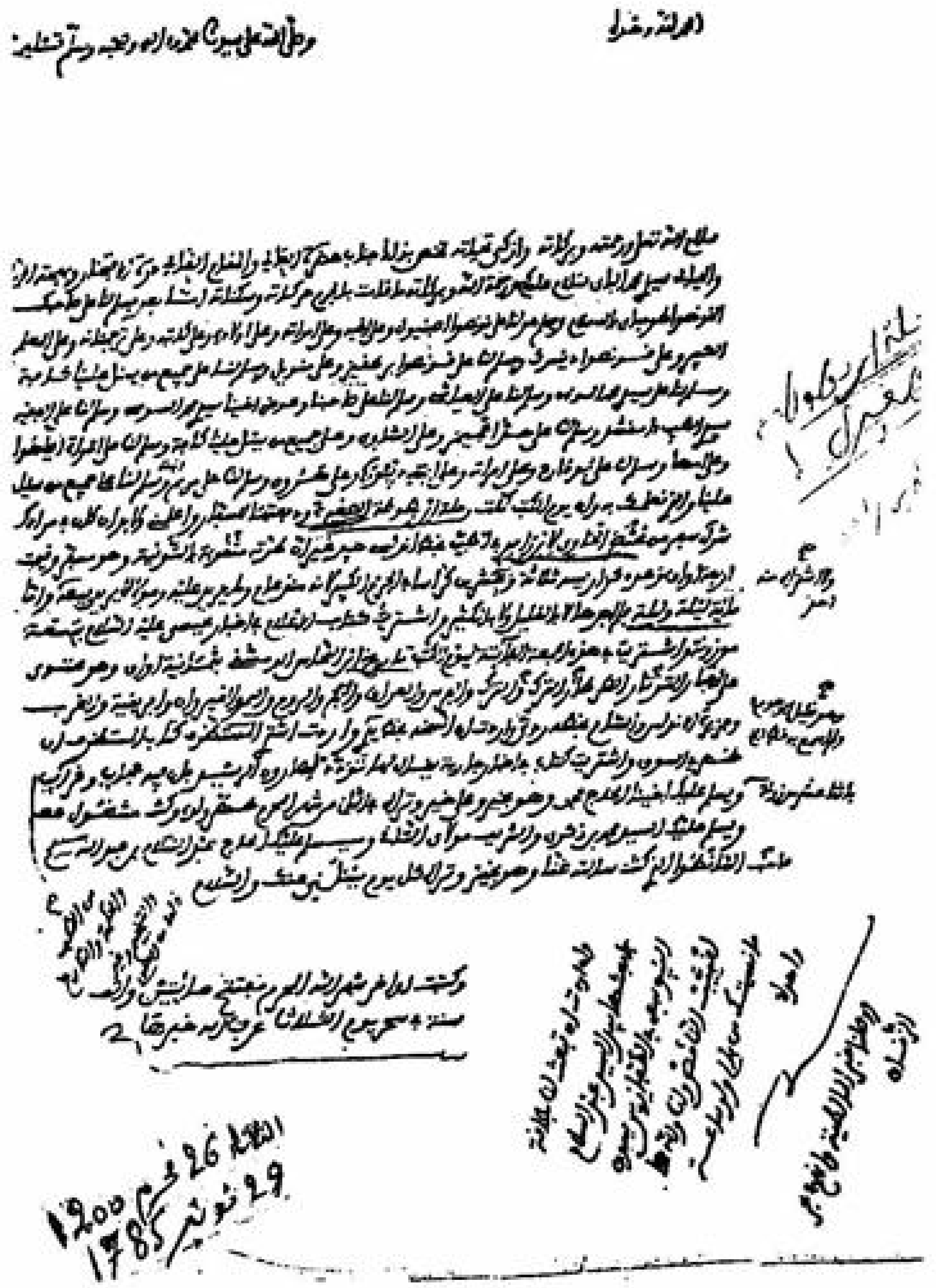
لقد وردت الإشارة إلى هذه النسخة ضمن رسالة بعثها بتاريخ ٢٦ محرم ١٢٠٠= ٢٩ نونبر١٧٨٥ أحد النساخ المغاربة إلى الديلوماسي النمساوي ضومباي الذي كان يعمل بسفارة النمسا بطنجة وكان يهتم باقتناء المخطوطات... في هذه الرسالة يخبر المغربي زميله بأن رحلة ابن بطوطة الصغيرة كملت ودفعت للسفّار أي المجلّد... فماذا عن مصير هذه النسخة[3]؟

• • •

(١) ج ١، ١٥٢.

(٢) الترجمانة الكبرى: الرباط ١٩٦٧ ص ٥٨١.

(٣) عند زيارتي للخزانة الوطنية في ڤينا حاولت أن أجد أثراً لهذه الرحلة ضمن مخلفات ضومباي هناك وهي كثيرة، لكني وجدت عوضها رحلةلمغربي آخر متأخر عن ابن بطوطة، هو المثيوي الذي رحل صحبة الملك محمد الثالث إلى جنوب المغرب... وإني لأشكر بهذه المناسبة مساعدة زميلي الدكتور الأستاذ طريف السمان.


الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الثلاثاء 26 محرم 1200
29 نونبر 1785

وهكذا نستشفُّ من خلال كلّ هذا أن هناك اهتماماً زائداً بالرحلة عبر العصور سواء من لدن الحكام أو من لدن العلماء والمثقفين بحيث إنه لم تخلِ فترة من الفترات دون أن تجد فيها أثراً للرحلة نسخاً أو بيعاً أو شراء... بل إنّنا كنا نلاحظ في بعض الأحيان أن تواريخ النسخ تتقارب فيما بينها، ومعنى هذا أن هناك طلباً متوالياً على الرحلة من طرف هُواتها والمعجبين بها: ليس فقط من المغاربة والمسلمين على العموم ولكن من طرف المستعربين والمستشرقين الذين وجدوا فيها مايرضي استطلاعهم ويزيد في معلوماتهم عن عالم العروبة والإسلام...

• • •

والآن وقد ألممنا بالمخطوطات التي توفرت لدينا عن هذا التراث العربي الجليل، نرى من المفيد أن نخصص الحيز الأخير من حديثنا لما قام به الزملاء العرب من جهودٍ متنوعةٍ مشكورةٍ للاستفادة من رحلة ابن بطوطة...

وأرى من المفيد منذ البداية أن أكشف عن حقيقة وأذكُر أنه بالرغم مما ظهر في المشرق من طبعات عديدة للرحلة منذ أواخر القرن الماضي، فإن كل تلك الطبعات إنما كانت منقولة من الطبعة البارزية! عام١٨٥٣– ١٨٥٨، أي إنه لايوجد ناشرٌ واحدٌ قام بمبادرة من عنده للاعتماد على معطيات جديدة غير التي اعتمد عليها الناشران العالمان الفرنسيان ديفريمير (Defremery) وسانگينيتي (Sanguinetti) ...

بل لم نجد واحداً من زملائنا من كلف نفسه حتى العودة إلى المخطوطات البارزية التي اعتمد عليها الفرنسيان الاثنان حتى يقوموا ببعض المقارنات والمفارقات..!

وفي مصر التي تعتبر– على طول العصور– بحق رائدة الفكر

وعاصمة الكتاب العربي، فإن الرحلة لم تشتهر إلا عندما صدرت كاملةً في باريز عام ١٨٥٣– ١٨٥٨ !! فهنا فقط تحركت الهمم لطبعها بمصر نقلاً – بالحرف – من النسخة الفرنسية، ونقول بالحرف ونحن نقصد إلى أنَّ الناشرين التَّابعين لم يبذلوا أي جهد حتى في تصحيح نسبة المقدمة لابن جزي وليس لابن بطوطة(١) ...

وقد تمَّ هذا النشر الأوّل بمطبعة وادي النيل بتصحيح أبي السعود أفندي في منتصف جمادى الثانية ١٣٨٨ هـ= أول شتنبر ١٨٧١ م «على أصله المطبوع مع ترجمته بالفرانساوية بمدينة باريز في سنة ١٨٥٨ م ميلادية» كما تقول هذه الطبعة.

وتحركت همة أحد أبناء فاس (المغرب) فتطوع الشريف مولاي أحمد ابن السيد عبد الكريم القادري الحسني المغربي الفاسي بطبع الرحلة من جديد وكان عليه – هو الآخر !– أن يعتمد على النسخة المطبوعة بمصر المعتمدة بدورها على طبعة باريز !!

لعلَّه تعذَّر عليه أن يقوم بطبع رحلة ابن بطوطة في مطابع الحَجَر بفاس، فقام بهذه المبادرة الجريئة واتَّصل بمصر التي ظهرت فيها هذه «الطبعة الثانية» للرحلة يوم ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٢= ١٧ يونيه ١٩٠٤ اعتماداً على الطبعة الباريزية كما قلنا.

ولم تقف الرحلة في مصر عند هذا الحدّ فقد رأت وزارة المعارف المصرية– على مايؤكده المستشرق الرُّوسي كراتشكوفسكي أن دراسة

---

(١) الإشارة إلى أن «مقدمة السفر الأول» التي نسبت إلى ابن بطوطة في الطبعة الفرنسية بقيت على ماهي عليه في طبعة القاهرة مع أن من الواضح والبيِّن الجلي أن «المقدمة» هي لابن جزي الذي كان يتكلم فيها عن نفسه قبل أن يتكلم ابن بطوطة!

الرحلة في المدارس مما يساعد أبناء مصر على توسيع مداركهم وإثراء معلوماتهم. وهكذا عهدت ١٣٥٢= عام ١٩٣٣ إلى اثنين من كبار رجال التعليم في أول هذا القرن للاهتمام بالرحلة وإعدادها لتصبح ضمن المقررات المفروضة على طلاب المدارس الثانوية كما عهدت إلى الشيخ محمد فخر الدين بوضع خرائط لها، فكان كتاب (مهذّب رحلة ابن بطوطة[١] ...)

ونرى من المفيد هنا أن نشير إلى النقد اللّاذع الذي لقيه كتاب (مهذّب الرحلة) من لدن عددٍ من الباحثين، كان منهم زميلنا د. حسين مؤنس[٢].

وإلى جانب مصر وجدنا بيروت بدورها تُولي اهتمامها لرحلة ابن بطوطة، فأتت دار صادر لتقدّم[٣] إلينا عام ١٩٦٠ طبعتها الكاملة للرحلة، ونافست دارُ الكتاب دارَ صادر فنشرتها كذلك[٤] في عام ١٩٦٠.

ونرى من المهمّ أن نذكر هنا أن الناشر في دار صادر أقدم على حذف الكلمات المتعلقة بضبط وشكل الأعلام الجغرافية ! هذا الضبط والشكل الذي يذكره المؤتمر العالمي للأعلام الجغرافية التّابع للأمم المتحدة على أنه من مناقب ابن بطُّوطة ومزاياه...

---

(١) وزارة المعارف العمومية: مهذّب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار... وقف على تهذيبه وضبط عربيته وأعلامه أحمد العوامري بك، ومحمد أحمد جاد المولى بك... المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٣٣، البستاني: الروائع ١٩٥٠ ج ١ مزيج تعليق ١.

(٢) د. حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، مصر ١٩٨٠ ص ٨.

(٣) دار صادر- دار بيروت: رحلة ابن بطوطة، بيروت ١٣٧٩= ١٩٦٠ تقديم كرم البستاني.

(٤) دار الكتاب اللبناني، بيروت، سلسلة كتاب التحرير ١٦٦- سنة ١٣٨٦= ١٩٦٦.

ومن الواضح أن صنيع «دار صادر» هذا يعتبر بدعةً منكرةً لاتتفق وأهداف البحث الذي يعتبر أن ذلك الضبط نوعٌ من التوثيق الذي تفرضه الأمانة العلمية[١] ...

ومن الملاحظ أن (دار الكتاب اللبناني) سارت في نفس اتّجاه (دار صادر)، فقد استغنت عن ضبط الأعلام تقليداً لزميلتها! وأكثر من هذا فقد قامت هذه الطبعة بحذف بعض الفقرات وبعض الأشعار[٢] التي لم ترُقها من الرحلة ظلماً وعدواناً على نحو ماقام به العالم الإيراني د. علي موحد عند ترجمته للرحلة إلى اللغة الفارسية...

وإذا كان الشريف القادري (المغربي) الذي نشر الرحلة أوائل هذا القرن عام ١٩٠٤ على ماتركها عليه الناشران الفرنسيان، فإنّ زميلاً مغربيّاً معاصراً [٣] رأى أن يقوم بتقليد صنيع الناشرين في لبنان، فرأى بدوره- أوّلاً: حذف العبارات التي تضبط الأعلام... بل وقام ثانيًا: باجتهادٍ جديدٍ وهو أنه جرّد أقوال ابن جزي من صلب الرحلة وجعلها في ذيولٍ على حدَة نظراً لكون فائدتها- في نظره- ثانوية!

وقد سلك هذا الصنيع أيضاً في بعض النصوص التي وردت أثناء الكتاب ... ومعنى كلّ هذا أن الرحلة التي عرفها الناس أيام السلطان أبي عنان اختفت لتعوضها رحلة أخرى بترتيباتٍ أخرى!!

وقد أتعب مثل هذا الصنيع أصحابَه فلم يستطيعوا الالتزام به من أول

(١) تصرفت هذه الطبعة فحذفت بعض الجمل التي رأت أنها لاتليق بالأحوال الجارية اليوم! انظر مثلاً صفحة ٥٤ من الرحلة.

(٢) يراجع الشعر الذي قيل مثلاً حول مدينة حلب... ص ٦٨.

(٣) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٢.

فقرة في الرحلة عندما استهلّ ابن جزي مقدمته بقوله:

الحمد لله الذي ذلل الأرض لعباده ليسلكوا فيها سبلاً فجاجاً إلخ... أفلم يكن من واجب أولئك- وقد قرّروا فصل كلام ابن جزي عن الرحلة- أن يجعلوا المقدمة ذيلا كذلك؟! هذا إلى هفوات بالغةٍ لم تصحّح: مثل كلمة التّارات التي تحولت إلى القارات! وكلمة الفارسية التي تحولت إلى الفاسية!

وقد خلّف بعد هؤلاء خلْفٌ من إخواننا المشارقة فقاموا باجتهادات أخرى وهكذا اعتمد بعض اللبنانيين على زميلنا المغربيّ الذي أشرنا إليه، اعتمد عليه من غير أن يرجع إلى أصول الرحلة ونقل عنه مناهجه في الاستغناء عن ضبط الأعلام، وفصل أقوال ابن جزي من صلب الكتاب لتصبح في الهامش... ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، ولكنه تجاوزه إلى إعطاء تفسيرات خاطئة لبعض الكلمات المحرّفة في الرحلة المنقول عنها.. مثلاً فسّر ذلك الباحثُ اللبناني القصد من كلمة (القارات) الثلاث مع أنها (التارات)[1] وليس القارات فسّرها بأنها تعني إفريقيا وآسيا وأوروبا!! وفسر القصد من كلمة المملكة (الفاسية) مع أنها المملكة (الفارسية) فسرها بأنها نسبة إلى مدينة فاس عاصمة الأدارسة! وقد بدّل ذلك الناشر اللبناني بعض العبارات التي لم تعجبه على نحو ما فعل سلفه[2] !!

وأخيراً قرأنا لأحد علماء الأزهر الشريف الشيخ محمد عبد المنعم

---

(١) الإشارة إلى الآية الكريمة: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾...

(٢) أذكر على سبيل المثال عبارة (يطوف كلّ يوم سبعين طوافاً) الموجودة في جميع النسخ المخطوطة، تحولت إلى (كلّ أسبوع سبعين طوافاً) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار، شرحه وكتب هوامشه : طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧=١٩٨٧.

العريان «تقديمه» و «تحقيقه» للرحلة وكان على نحو سابقيه من الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء العودة إلى الأصول..

وفي السادة الذين تصدوا للرحلة- وهم كثير- من تجنّب نشرها حرفياً وتحقيقها على الطريقة المعهودة في كتب التراث، واكتفى بعرضها، أي إنه كان يحكي عن ابن بطُوطة، ويتحدث عنه حديث الغائب وبأسلوبٍ غير أسلوبه[1]...

وقد سوَّغ بعضهم هذا الصنيع بأنّه نوع من «التعريب» أي نوع من ترجمة الأسلوب القديم إلى الأسلوب الحديث ...

وبعد... فأعتقد أننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر فيما نشرناه عن هذه الرحلة التي يجب أن نعترف بأننا كنا مقصّرين في شأنها، وأننا كنا دون اهتمام المستشرقين في التعريف بها وبمعلوماتها وبصاحبها الذي يظلّ عملاقاً من عمالقة المعرفة في بلادنا، فهل سنقوم بما يفرضه علينا الواجب ؟

---

(١) من هؤلاء الأستاذ محمود الشرقاوي في تأليفه رحلة ابن بطوطة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨. والدكتور شاكر خصباك في كتابه: ابن بطُوطة ورحلته، مطبعة الآداب-النجف الاشرف ١٩٧١.